**العشيرة في القرآن الكريم والقانون / دراسة وتحليل**

**من اعداد : د. امل كاظم زوير**

 القوميَّةَ وروابطَ وأواصرَ النسبِ ربما انتفع بها المسلم، بل قد ينتفع بها الكافر، وقد تكون محمودة ما لم يخرج ذلك إلى تجاوز حدودِ ولاءِ المؤمنين، والبراء من الكافرين

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [[النساء](https://ar.islamway.net/tag/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A1):1].

وقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات:13]. هؤلاء هم الناس؛ أفرادٌ وأسر، عائلاتٌ وقبائل، أقوامٌ وشعوب.

فالعرب ينتسبون لقبائلهم، وغيرهم من العجم ينتسبون إلى شعوبهم، وجعل الله ذلك في البشر للتعارف والتآلف، وكَرَمُ الإنسان عند الله تقواه، {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، وللقبيلة والعائلة شأنٌ عظيمٌ وأهميةٌ كبيرة، في الحفاظ على الفردِ والجماعة، والأسرةِ والمجتمع، مما يعود نفعُ ذلك على البلاد، والوطنِ والعباد، احتاج نبيُّ اللهِ لوطٍ عليه السلام -في أحلك الظروف- إلى قبيلة تحميه، وركنٍ يؤويه، ليدافعَ عن أضيافه، لما هجم عليه الرَّعاع، والسَّفِلةُ السفهاء، {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود:80].

وما منع قومَ شعيبٍ عليه السلام من التعرُّض له إلا قبيلتُه ورهطُه، دعا قومه إلى [التوحيد](https://ar.islamway.net/tag/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%AD%D9%8A%D8%AF)، وأمرهم بالإنصاف وعدم [الظلم](https://ar.islamway.net/tag/%D8%A7%D9%84%D8%B8%D9%84%D9%85)، ضجروا من تهديده ووعيده، وتخويفه من عقاب الله، فلما أطال عليهم الكلام {قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [هود: 91-92].

القبيلة "نفع الله بها نبيَّه صالحًا أيضًا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كما أشار تعالى لذلك بقوله: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ . قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [النمل:48-49]، فقد دلَّت الآية على أنهم يخافون من أولياء صالح، ولذلك لم يُفكِّروا أن يفعلوا به سوءاً إلا ليلًا خفية. وقد عزموا أنهم إن فعلوا به ذلك أنكروا وحلفوا لأوليائه أنهم ما حضروا ما وقع بصالح خوفًا منهم"
وارتدع المشركون من التعرُّض للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ما دامت قبيلتُه قريش وعمُّه أبو طالب الذي يدافع عنه عصبية، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "وَنَحْنُ حِينَ نُصَرِّحُ بِمَنْعِ النِّدَاءِ بِالرَّوَابِطِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْأَوَاصِرِ النِّسْبِيَّةِ، وَنُقِيمُ الْأَدِلَّةَ عَلَى مَنْعِ ذَلِكَ؛ لَا نُنْكِرُ أَنَّ الْمُسْلِمَ رُبَّمَا انْتَفَعَ بِرَوَابِطَ نِسْبِيَّةٍ لَا تَمُتُّ إِلَى الْإِسْلَامِ بِصِلَةٍ، كَمَا نَفَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ عَطْفَ ذَلِكَ الْعَمِّ الْكَافِرِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مِنَنِ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} [الضحى:6]؛ أَيْ: آوَاكَ بِأَنْ ضَمَّكَ إِلَى عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ.

وَمِنْ آثَارِ هَذِهِ الْعَصَبِيَّةِ النِّسْبِيَّةِ -النافعة- قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينًا"
"مسألة مهمة ينبغي التطرُّق لها بوسطية؛ وهي أن القوميَّةَ وروابطَ وأواصرَ النسبِ ربما انتفع بها المسلم، بل قد ينتفع بها الكافر، وقد تكون محمودة ما لم يخرج ذلك إلى تجاوز حدودِ ولاءِ المؤمنين، والبراء من الكافرين. كأن تُقدَّمَ على أواصرِ الدين ورباطِ [التقوى](https://ar.islamway.net/tag/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%88%D9%89)، فإذا لم تتجاوزْ الحدَّ، وكانت خاضعةً للرابطةِ الإسلامية، وعرى [العقيدة](https://ar.islamway.net/tag/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%8A%D8%AF%D8%A9)، فلا إشكال، وإنما الإشكال في استبدالها بها، وعلى كل حال تظلُّ لأواصرِ النسبِ والصلةِ فائدتُها وأثرُها حتى بين الكفار"
"والقبلية - بصفة عامة- لا تُذمُّ فهي قدرٌ كونيٌّ، فالله تعالى هكذا خلق عبادَه شعوبًا وقبائل، كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات:13.

إن القبلية تصنع - في كثير من الأحيان- نوعًا من الوحدة بين أبنائها؛ فإذا ارتقى هذا الفهمُ الوحدويُّ القبليُّ إلى أنَّ هذه الوحدةَ القبليَّةَ يجبُ إدخالُها في وحدةٍ أسمى منها هدفًا ونوعًا، وهي وحدةُ الأمةِ الإسلامية كان ذلك تمهيدًا لوحدة المسلمين وهي غاية منشودة .
لقد أوجد الله الشعوب والقبائل للتعارف والتآلف بين البشر، لا للتنازع والتخالف، فالتفرق بين الناس والاقتتالُ والتنازع ينشأ من كلمةٍ أو جملة، من أجلِها تغضبُ قبائلُ بأكملِها، وتقتتِلُ شعوبٌ بأسرها، فمن أسباب اندلاعِ الحروب، بين القبائل والشعوب؛ ربما كانت كلمة! مقصودةً أو غيرَ مقصودة.

قال بعضهم: "من أسباب وقوع الغزو: أثرُ العلاقات الشخصية بين سادات القبائل، من زواجٍ وطلاق، ومن حسدٍ وتنافس، ومن كلمةٍ نابيةٍ قد تثير حربًا بين قلبي شخصين متنافرين، ومن عملِ سفيهٍ جاهلٍ يثير غزوًا وحربًا بسبب عصبيَّةِ قومِه لَه، ودفاعِ الجانبِ الآخرِ عن صاحبِهم حميَّةً وغَيرة... إلى غير ذلك؛ من عواملَ معقولةٍ مفهومةٍ، وعواملَ تافهةٍ سخيفةٍ، تجدُ لها معَ ذلك مكانةً في [القلوب](https://ar.islamway.net/tag/%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%84%D9%88%D8%A8)؛ فتثير غزوًا، وتسبِّبُ نكبةً لأُناسٍ مساكينَ فقراء، لا دخلَ لهم في كلِّ خصومة، وكلُّ ما لهم أنهم من قومٍ غضبَ عليهم قومٌ آخرون، فزادوا في تَعاسةِ إخوانهم المغزوِّين، والغازي والمغزوُّ مع ذلك معدَمٌ محرومٌ من النعم التي وهبها الله لغيرهم من البشر.

"ومن الضروريِّ أن تكونَ هذه الوحدةُ القبليةُ دائرةٌ في فلكِ الوحدةِ الإسلاميةِ الكبرى ومغذيةٌ لها، وعند أيِّ تعارضٍ بين الوحدتين تُقَدَّم الوحدةُ الكبرى ومصالحُها على الوحدةِ الصغرى، ولعلَّ تحقيقَ هذه الوحدة القبليةِ الصغرى بهذا الفهم؛ من الأسباب التي لأجلها أمرَ الإسلام بصلة الأرحام، وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يصل ذوي رحمِه، وأقاربِه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، وقد جعل الإسلام كثيرًا من الأحكام تتعلق بالعشيرة؛ مثل [الميراث](https://ar.islamway.net/tag/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D8%AB) والعقل وغيرها.

ومما يجب على المسلم أن يتجنَّب من سلبيات القبلية: التفاخر بالأنساب، فقد قال [النبي](https://ar.islamway.net/tag/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%8A) صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ» (سنن أبي داود: )5116(

كما يجب تجنُّبُ العصبيةَ القبلية؛ وهي أن يغضبَ المرءُ لغضبِ القبيلة ولو كان غضبها لباطل، ويرضى لرضاها ولو كان عن باطل، وهذه هي حالة الجاهلية ، ومن السلبيات بالغة الضرر؛ احتقار المسلمين والآخرين لنسَبهم المتواضع.

فمتى ما انتفت هذه السلبيّاتُ عن القَبَليّة أثمرت خيرًا على المجتمع، فزادت بها وحدتُه، وقويت بها شوكتُه، وصلُحَ بها أمرُه، ومتى اقترنت بها تلك الآفاتُ كانت آثارُها على المجتمع مدمِّرة وسيئة"

**اما العشيرة في القانون الوضعي ولا سيما القانون العراقي**

فان من بين القوى الصاعدة النفوذ بعد 2003، كانت العشائر التي ما لبثت أن دخلت في صدام ليس مع القانون فحسب، بل بين بعضها البعض في صراع مسلح واسع على النفوذ في مناطق جنوب البلاد الغنية، وعلى قضايا اجتماعية وسياسية في مناطق أخرى.

وكانت وزارة العدل العراقية أثارت سجالاً حين أعلنت "انطلاق مشروع التحكيم العشائري ودخوله حيز العمل" في نيسان/أبريل الماضي.

صحيح إن الوزارة أوضحت إن هذه الخطوة تأتي جاءت لـ "ترسيخ أسس القانون وإشاعة ثقافة التسامح في حل النزاعات وليس أن تكون بديلاً للقانون"، لكنه بدا وكأنه "اعتراف بأهلية العشائر على الدولة"؟

واعتماد هذا المبدأ سيؤدي إلى "سيادة الرأي العشائري على الرأي القانوني، وبالتالي سيضعف تطبيق القانون وسيلجأ الناس إلى العشائر بدل المحاكم وهذا مؤشر خطير يهدد الوضع العام في البلد وربما يؤدي إلى ضياع الحقوق

وحيال هذه التوجهات "التي تعود بالبلد إلى الوراء"، يقول الخبير القانوني، مؤكدا "سيؤدي إعطاء التحكيم العشائري صفة قانونية، إلى تعطيل القوانين النافذة ويحوّل البلد إلى بلد عشاير وليس بلد قانون".

إقرار وزارة العدل مبدأ التحكيم العشائري "إقرار من قبل مؤسسات الدولة بالسلطات الموازية التي تتنافس معها في فرض السيطرة على المجال العام، بل هي تعني هشاشة الدولة في العراق